

يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت
الحكمة فقد أتى خيراً كثيراً وما
يذكر إلا أول الأئمة

المشكاة

١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستمعون القول
فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم
الله وأولئك هم أولو الألباب

(قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « مناراً » كمنار الطريق)

(مصر في يوم الثلاثاء غرة ربيع الأول سنة ١٣١٩ - ١٨ يونيو (حزيران) سنة ١٩٠١)

القسم الديني

« المحاوراة الثامنة بين المصلح والمقلد — الاجتهاد والوحدة الاسلامية »

علمنا من آخر المحاوراة السابعة ان الشيخ المقلد ذهب قبل نتم
الحديث لموعد كان بينه وبين آخر وقال انه يعود في الغد ولكنه ابطأ وجاء
بعد أيام يصحبه شيخ آخر فاعتذر عن الابطاء وقال
(المقلد) : ان هذا الاستاذ — وذكر اسمه — صديقي منذ أيام
المجاورة في الازهر وهو قاضى بلدنا الشرعى الآن ولما جئت البلد في
فرصة العيد ذكرت له ما دار بيننا فتمنى لو كان في القاهرة وشاركنا في
المنظرة والبحث . وقد حضر في هذه الايام باجازه فجئت به عالماً ان
ستسر بمعرفته . ولا أقصد ان يساعدنى عليك لاحتمال ان يوافقك فانه
حر في فكره ورأيته موافقاً لك في بعض ما نقلته له عنك من مباحث
الجهل والاستدلال بالحروف والاشارات

(المصالح) : أهلاً وسهلاً لقد شرفنا الأستاذ - وصاحفه ثانياً - واني أحب ان يساعدنا في هذه المذاكرة على تحقيق الحق الذي هو ضالتنا المنشودة وليس لاحد منا حظ ذنبوي في رأيه يخاف فواته اذا ظهر له بطلان الرأي على ان المجتهد الذي يتبع الدليل أينما ظهر ويأخذ الحكمة من حيث وجدها لا يزداد بالمباحثة ومراجعة المناظرين الا نوراً على نور . واما المقلد الذي يجني دائماً على نور الفطرة الالهية التي من مقتضاها النظر والفكر والاستدلال ويحاول اطفاءه بما يلقيه عليه من رماد التقليد تعظيماً لاسماء من ينسب اليهم ذلك الرماد فهو الذي يخاف المناظرين ويفرق من الباحثين لانهم يمدون نور الفطرة بنور البرهان فتضعف الانوار حتى يمسيه تألقها ويكاد يخطف بصره شعاعها ويرى نفسه في عجز عن اطفائها وتتولاه الحيرة وتحيط به الغمة وكيف حال من فقد السكينة والاطمئنان وجمل خصنه السنة والقرآن

(المقلد) : دعنا من التعريض والتلويح ، بل من هذا التشنيع الصريح ، فما اناذا اناضرك بالدليل ، لا بالقال والقييل ، قررت ان الواجب على المسلمين بالنسبة للاحكام العملية هو الاخذ بما اجمع عليه اهل الاسلام وانهم على التخير فيما اختلف فيه يعمل كل احد بما يرجع عنده الخ فها تقول فيمن عرض له شيء من ذلك وهو عامي لا يعرف الاقوال فيتخير فيها ألا يجب عليه ان يسأل العلماء ويأخذ باقوالهم ؟ سكت عن هذه المسئلة لانها حجة عليك في جواز التقليد

(المصالح) : يمكن لمثل هذا العامي ان يتبع سبيل عامة اهل الصدر الاول فقد كان من تعرض له مسئلة لا يعرف حكم الله فيها يسأل من يظن

ان عنده فيها شيئاً من كتاب أو سنة لانه يسأله عن رأيه الشخصي ويأخذ به من غير معرفة دليبه فيكون مقلداً. ومثل هذا السؤال كان يقع من الخاصة ايضاً والمسؤل فيه راو او منبته على مأخذ الحكم ووجه استنباطه ولو كان كل سائل مقلداً وكل مسؤل اماماً متبماً لذاته لكان كل مجتهد مقلداً وكثير من الجاهلين أئمة ولا يقول بهذا احد

(الزائر أو المقلد الثاني أو المناظر الثالث) : على هذا يكون استدلال

الاصوليين بقوله تعالى « فاسألوا هل الذكر ان كنتم لاتعلمون » على وجوب التقليد على العاجز عن الاجتهاد غير سديد

(المصلح) : لاشك انه استدلال عقيم لوجوه (منها) ان السبب الخاص الذي نزلت فيه الآية الكريمة لا يصح فيه التقليد فتكون امرا به وانما هي ازالة شبهة بالتنبيه الى امر مقرر عندهم وذلك ان مشركي العرب كانوا يقولون ما قص الله عنهم بقوله « انما انزل الكتاب على طائفتين من قبلنا وان كنا عن دراستهم لغافلين » وقوله « لو انا انزل علينا الكتاب لكنا اهدى منهم » اي لاننا اذكي فطرة واذكي فهماً واقوى عزيمته . فلما نزل عليهم الكتاب كان من شبههم على من نزل عليه صلى الله عليه وسلم انه بشر يأكل الطعام ويمشي في الاسواق وان رجلاً مثلهم والايات الحاكية هذا عنهم معروفة فاجابهم عن هذه الشبهة بقوله تعالى : « وما ارسلنا قبلك الا رجالاً يوحى اليهم فاسألوا اهل الذكر ان كنتم لاتعلمون » يأمرهم ان يسألوا اهل الكتاب هل كان الانبياء ملائكة ام رجالاً من البشر . وكون الانبياء رجالاً امر يجمع عليه عند اهل الكتاب ومنقول بالنواتر حتى عند غيرهم فالسؤال عنه ليس اخفا برأي من غير دليل

فيكون تقليداً . و (منها) ان هذه المسئلة اعتقادية لاعلمية واتم لا تقولون
 بوجوب التقليد في اصول الايمان لان المقلد لا يكون موقناً ومن لا يقين
 له لا ايمان له لان الظن لا يقين من الحق شيئاً في هذا المقام . ولو كان الآخذ
 يقول غيره في عقائد دينه واصوله معذوراً عند الله تعالى لكان جميع اهل
 الاديان معذورين وناجين ولما وجب النظر في دعوة نبي من الانبياء
 الاعلى المجتهدين . فاذا ظهر النبي في طور لجأت فيه الامة كلها الى التقليد
 كما تمحكون اتم وفقهاؤكم على هذه الامة الاسلامية تكون الامة كلها
 معذورة عند الله تعالى في رفض دعوته وعدم النظر فيها وهل يقول
 بهذا الا مجنون

(المقلد) : اتى سلت لك من قبل ان التقليد في العقائد غير جائز

(المصلح) : وانا بينت لك ان فهم الاحكام اسهل من فهم العقائد

(الثالث) : ان فرقاً بين المقلد في الكفر وبين المقلد في الحق فالثاني

يعذره الله تعالى لانه وافق الحق دون الاول

(المصلح) : ان الله تعالى هو الحكم العدل القائم بالقسط فاذا امر

بمقلدي الوثنيين مثلاً الى النار وبمقلدي المسلمين الى الجنة وسأل الوثنيون

مساواتهم بامثالهم من مقلدي المسلمين لان كلاً منهم غير مكاف بالنظر

لمعرفة الحق الا يكون طلبهم هذا عادلاً يتنزه الله تعالى عن منحهم اياه ؟

(الثالث) : انه تعالى « لا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون »

(المصلح) : معنى الآية الكريمة انه ليس لاحد سلطان على الله

تعالى فيحاسبه على افعاله بل هو صاحب السلطان الاكبر القائم على كل

نفس بما كسبت . وليس معناها انه لا يعدل بين عباده فيما هم فيه سواء .

وما انبأنا الله تعالى بتبرؤ الاتباع من المتبوعين والمرؤسين من الرؤساء في يوم القيامة الا ليكون ذلك عبرة لنا وآية على انه لا يعذر احدًا باتباع من لم يأمره باتباعه . والآيات في هذا كثيرة كقوله تعالى : « اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب . وقال الذين اتبعوا لو ان لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرؤا منا كذلك يريهم الله اعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين من النار » والآيات في هذا المعنى كثيرة

(الثالث) : اتقول إن هذه الملايين من المسلمين المقلدين خالدين في النار وانهم كالوثنيين سواء

(المصلح) : لا اتقول هذا ولكني اتقول ان دعوة الاسلام لم تبلغهم كاملة فيجب تبليغهم اياها بالقرآن الكريم الذي بلغ به النبي صلى الله عليه وسلم من قبلهم من اولئك السلف الكرام ومن اهتدى بهديهم الذين شادوا لنا ذلك المجد الكبير بارشاد القرآن واضعناه بالاعراض عن القرآن احتجاجاً بتقليد فلان وفلان الذين يتبرؤن منا يوم القيامة قائل كل منهم كما يقول عيسى ابن صريم عليه السلام « ماقت لهم الا ما امرتني به » وسأورد بعض ما يؤثر عنهم في النهي عن الاخذ بقولهم حتى في الفروع من غير معرفة دليلهم والاقتناع به وعن تقديم كلامهم على الحديث النبوي بآية القرآن العظيم وما يؤثر ايضاً عن اكابر العلماء الاعلام من بعدهم وارجو ان يكون في ذلك مقنع لكم فانكم انتم الاخذ بكلام الناس دون كلام الله ورسوله

(الثالث) : ونحن يمكننا ان نورد لك من كلامهم بل ما نقل فيه

الاجماع ما يقتضى القول بالتقليد وهو منع التلقيح فان التلقيح لازم للتقليد وقد نقل في الدر المختار الاجماع على بطلانه فاورد لنا قولاً بالاجماع على منع التقليد في الفروع

(المقدم للثالث) : انه لم يتم كلامه الاول فيما يجب الاخذ به لاجل الوحدة الاسلامية فقد بنى عليه الكلام في قسم المعاملات الدنيوية والاحكام القضائية وانما مناقشتنا معه الآن في العبادات وان في كلامه قوة والحق يقال ولكنه يحتمل النقص والممارسة والمصيبة فينا اننا لم يسبق لنا بحث كبير في هذه المواضيع لنستحضر النصوص فيها وما كنت اظن ان مثله يشغل بهذه المسائل فقد حضرت مجلساً ضم جماعة من اكابر مشايخنا وذكر فيه الذين يتكلمون في الاصلاح فرأيتهم متفقين على ان الذين يتكلمون في الاصلاح كلهم جاهلون بالدين وغير مطلعين على علومه ولا متمسكين باعماله . ولولا اني اختبرت هذا الشباب والقيته متمسكاً بالدين اشد التمسك محافظاً على الصلوات اتم المحافظة لما جاريته وقصدت سبر غوره ولما احتملت منه ما احتملت من التهم بالقلدين والازراء بهم تلويحاً وتصريحاً مع اني اعلم انه يعتقدني منهم . ولكنني استغرب كيف لم يهتد احد من علماء الملة الى هذا الرأي - ازالة الخلاف بالاخذ بالقرآن والسنة العملية المتفق عليها - في كل هذه القرون فهل علم صاحبنا ما جهله العلماء بعد حدوث المذاهب وهو زمن يزيد على ألف سنة

(المصباح) : استحي ان اعود الى التشنيع على التقليد بعد الذي ذكرت من التبرم من ذلك وان كنت اشاهد مصائبه ترشح من كل كلمة يقولها المقلد الذي بطالت ثقته بفهمه وعقله وما احب ان اعتدك مقلداً محتجباً بعد ما

عاهدني على الاخذ بالدليل . كيف صح لك الحكم بانه لم يقل احد من علماء الامة بوجوب ازالة الخلاف من المسلمين وارجاعهم الى ما يرشد اليه القرآن من الوحدة والاخذ بالمتفق عليه وهل استقرت كل ما قاله العلماء الاعلام في كل فن من الفنون ؛ إن هذا الحكم شيوخك بان جميع المتكلمين ببدء عن الدين علماً وعملاً

هذا حجة الاسلام وعلم الاعلام الامام النزالي كان اعلم علماء التقليد واقوام عارضة في الدفاع عن مذهب الشافعي وله في الخلاف مصنفات وبعد ان بلغ الكمال في الفروع والاصول والمقول والمنقول امتدى الى هذا الرأي فهد له بالانحاء على العلماء المختلفين بالالوم والتنيف في كتابه احياء العلوم وسماهم علماء السوء ثم صرح برأيه في كتاب القسطاس المستقيم . وقد وقع في يدي امس فكان اول ما قرأته فيه هذا الموضوع . والكتاب موضوع في مناظرة جرت بين الامام وبين رجل من الباطنية الذين يقولون لا بد من امام معصوم يتبع في كل عصر

(المقصد الاول و... الثالث وما) : هل يوجد عندك هذا الكتاب هنا

فتسمعنا ذلك

(المصالح) : نعم . واخذ كتاباً صغيراً وقرأ من اواخره ما يأتي :

« القول في طريق نجات الخلق من ظلمات الاختلافات »

فقال - اي مناظر الامام النزالي - : كيف نجات الخلق من هذه الاختلافات ؟ قالت : ان اصغوا الي رفعت الاختلاف بينهم بكتاب الله تعالى ولكن لا حيلة في اصغائهم فانهم لم يصغوا باجمعهم الى الانبياء ولا الى امامك فكيف يصغون الي وكيف يجتمعون على الاصغاء وقد حكم عليهم

في الازل بانهم « لا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم »
وكون الخلاف بينهم ضرورياً تعرفه من كتاب (جواب مفصل الخلاف -
وهو الفصول الاثني عشر) فقال : فلو اصنوا اليك كيف كنت تفعل ؛
قلت : كنت اعاملهم بآية واحدة من كتاب الله تعالى اذ قال :
« وانزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وانزلنا الحديد »
الآية . وانما انزل هذه الثلاث لان الناس ثلاثة اصناف - عوام وهم اهل
السلامة البله وهم اهل الجنة وخواص وهم اهل الذكاء والبصيرة ويتولد بينهم
طائفة هم اهل الجدل والشغب فيتبون ما تشابه من الكتاب ابتغاء الفتنة
اما الخواص فاني اعالجهم بان اعلمهم الموازين القسط وكيفية الوزن
بها فيرتفع الخلاف بينهم على قرب . وهؤلاء قوم اجتمع فيهم ثلاث خصال
(احدها) القريحة النافذة والفطنة القوية وهذه عطية فطرية وغيرة
جبلية لا يمكن كسبها . و (الثانية) خلوص باطنهم من تقليد وتمصب لمذهب
موروث مسموع (والثقت الى المقلدين قائلاً : انظرا كيف حكم حكماً
مطلقاً بأن خواص الناس لا يتقلدون احداً . ثم قرأ :) فان المقلد لا يصفي
والبليد وان اصفي فلا يفهم . (الثالثة) ان يعتقد انى من اهل البصيرة
بالميزان ومن لم يؤمن بانك تعرف الحساب لا يمكنه ان يتعلم منك
« والصنف الثاني البله وهم جميع العوام » وهؤلاء هم الذين ليس لهم فطنة
لهم الحقائق وان كانت لهم فطنة فطرية فليس لهم داعية الطلب بل شغلهم
الصناعات والحرف وليس فيهم ايضاً داعية الجدل بخلاف المتكاسين في العلم
مع قصور الفهم عنه . فهؤلاء لا يختلفون ولا يتخيرون بين الأئمة المختلفين
فادعو هؤلاء الى الله بالموعدة كما ادعو اهل البصيرة بالحكمة وادعو اهل

الشمب بالمجادلة . وقد جمع الله سبحانه وتعالى هذه الثلاثة في آية واحدة كما تلوته عليك اولا فاقول لهم ما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم لاعرابي جاءه فقال علمي من غرائب العلم فعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم انه ليس اهلاً لذلك فقال : « وماذا عملت في رأس العلم » أي الايمان والتقوى والاستعداد للآخرة « اذهب فأحكم رأس العلم ثم ارجع لا علمك من غرائبه » فاقول للعامي ليس الخوض في الاختلافات من عشك فادرج فايك ان تخوض فيه او تصني اليه فهلك فانك اذا صرفت عمرك في صناعة الصياغة لم تكن من اهل الحياة . وقد صرفت عمرك في غير العلم فكيف تكون من اهل العلم ومن اهل الخوض فيه فايك ثم اياك ان تهلك نفسك فكل كبيرة تجرى على العامي اهون عليه من الخوض في العلم فيكفر من حيث لا يدري^(١)

« فان قال : لا بد من دين اعتقده واعمل به لاصل الى المغفرة والناس مختلفون في الاديان فبأي دين تأمرني أن آخذ او اعول عليه ؟ فاقول له للدين اصول وفروع والاختلاف انما يقع فيهما . اما الاصول فليس عليك ان تعتقد فيها الا ما في القرآن فان الله لم يبت عن عباده صفاته واسماءه فعليك ان تعتقد ان لا اله الا الله وان الله حي عالم قادر سميع بصير جبار متكبر قدوس ليس كمثل شيء الى جميع ماورد في القرآن واتفق عليه الأئمة

(١) من المصائب ان تفلسف المتكلمين في علم الكلام اخرجهم عن طريق القرآن في تقرير العقائد وفسد التعلم بذلك حتى صار كل عامي يجادل في الله بصير علم ولا كتاب منير ويخوض في القدر ويذهب مذهب الجبر ويكون في هذا اكثر جدلاً كلما كان اقرب من الشيوخ في العلم والطريق فلا هو مجتهد يفهم ولا بمقلد يسلم

فذلك كاف في صحة الدين وان تشابه عليك شيء فقل « آما كل من عند ربنا » واعتقد كل ماورد في اثبات الصفات ونفيها على غاية التعظيم والتقديس مع نفي المماثلة واعتقاد أنه ليس كمثلته شيء . وبعد هذا لا تلتمت الى القيل والقال فانك غير مأور به ولا هو على حد طاقتك . فان اخذ يتخذلق ويقول قد علمت انه عالم من القرآن ولكني لا اعلم أنه عالم بالذات أو بعلم زائد عليه وقد اختلف فيه الاشعرية والمعتزلة فقد خرج بهذا عن حد الموام اذا العامي لا يلتفت قلبه الى مثل هذا مالم يحركه شيطان الجدل فان الله لا يهلك قوماً الا يؤتيهم الجدل كذلك ورد الخبر^(١) واذا التحق بأهل الجدل فساد ذكر علاجهم

« هذا ما اعظ به في الاصول وهو الحوالة على كتاب الله (قال المصلح : ولا تنسيا ان كلامه في الموام) فان الله انزل الكتاب والميزان والحديد وهوؤلاء اهل الحوالة على الكتاب . واما الفروع فأقول لا تشغل قلبك بمواقع الخلاف مالم تفرغ عن جميع المتفق عليه فقد اتفقت الامة على أن زاد الآخرة هو التقوى والورع وان الكسب الحرام والمال الحرام والفحمة والزنا والسرقه والخيانة وغير ذلك من المحظورات حرام والفرائض كلها واجبة . فان فرغت من جميعها علمت طريق الخلاص من الخلاف فان هو طالبني بها قبل الفراغ من هذا فهو جدلي وليس بعامي . ومتى تفرغ العامي من هذا الى مواضع الخلاف ؟ أفرأيت رفقائك قد فرغوا من جميع هذا ثم اخذوا إشكال الخلاف بمخترتهم ؟ هيئات ما اشبهه ضعف عقولهم

(١) وكذلك وقع لهذه الامة ما زال يفتك فيها الجدل الذي آثاره الاختلاف

في خلافهم الا بهقل مريض به مرض اشرف به على الموت وله علاج متفق عليه بين الاطباء وهو يقول : قد اختلف الاطباء في بعض الادوية انها حارة او باردة وربما افتقرت اليه يوماً فانا لا اعالج نفسي حتى اجد من يعلمني رفع الخلاف فيه

نعم لو رأيتم صالحاً قد فرغ من حدود التقوى كلها وقال ها انا اذا تشكل عليّ مسائل فاني لا ادري اتوضأ من اللبس والقيء والرعايف وانوى الصوم بالليل في رمضان او بالنهار الى غير ذلك فاقول له ان كنت تطيب الامان في طريق الآخرة فاسلك سبيل الاحتياط وخذ بما يتفق عليه الجميع فتوضأ من كل ما فيه خلاف وانو الصوم بالليل في رمضان فان من لا يوجهه يستحبه . فان قال : هو ذا يتحمل عليّ الاحتياط ويعرض لي مسائل تدور بين النفي والاثبات وقال : لا ادري اأقنت في الصبح ام لا واجهر بالتسمية ام لا ؛ فأقول له الآن اجهد مع نفسك وانظر الى الأئمة ايهم افضل عندك وصوابه اغلب على قلبك كما لو كنت مريضاً وفي البلد اطباء فانك تختار بعض الاطباء باجتهادك لا بهواك وطبعتك فيكفيك مثل ذلك الاجتهاد في امر دينك فمن غلب على ظنك انه الافضل فاتبعه فان اصاب فيما قال عند الله فله في ذلك اجران وان اخطأ فله عند الله اجر واحد . وكذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ قال « من اجهد فاصاب فله اجران ومن اجهد واخطأ فله اجر واحد » ورد الله الاصر الى اهل الاجتهاد فقال تعالى « لعلمه الذين يستنبطونه منهم » وارتضى الاجتهاد لاهله اذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمعاذ : بم تحكم ؟ قال بكتاب الله . قال : فان لم تجد . قال : بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : فان لم تجد . قال :

أجتهد رأيي . قال ذلك قبل ان امره به رسول الله صلى الله عليه وسلم وأذن له فيه (وهنا التفت المصالح الى المقلد وقال : أرايت كيف وافق فهمي في الحديث فهم الامام النزالي الا اتى خصصته بالاحكام القضائية دون الامور التبعية كما هو ظاهر اللفظ والنزالي عمه وسنعود الى ذلك . ثم مضى في القراءة) فقال النبي صلى الله عليه وسلم : الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضاه رسول الله . ففهم من ذلك انه مرضي من رسول الله صلى الله عليه وسلم لمعاذ وغيره . كما قال الاعرابي : اني هلكت واهلكت واقعت اهل في نهار رمضان فقال « احقق رقة » ففهم ان التركي والهندي لوجامع ايضاً لزمه الاعتاق

وهذا لان الخلق ما كلفوا الصواب عند الله فان ذلك غير مقدور عليه ولا تكليف بما لا يطاق بل كلفوا بما يظنونه صواباً كما لم يكلفوا الصلاة بثوب طاهر بل بثوب يظنون انه طاهر فلو تذكروا نجاسته لم يلزمهم القضاء اذ نزع رسول الله صلى الله عليه وسلم نعله في اثناء الصلاة لما انباه جبريل ان عليه قدراً ولم يعد الصلاة ولم يستأنف . وكذلك لم يكلف ان يصلي الى القبلة بل الى جهة يظن انها القبلة بالاستدلال بالجبال والكواكب والشمس فان اصاب فله اجران والا فله اجر واحد . ولم يكلفوا اداء الزكاة الى الفقير بل الى من ظنوا فقره لان ذلك لا يعرف باطنه . ولم يكلف القضاء في سفك الدماء وابعاح الفروج طلب شهود يلدون صدقهم بل من يظنون صدقه . واذا جاز سفك دم يظن يحتمل الخطأ وهو ظن صدق الشهود فلم لا تجوز الصلاة بظن شهادة الادلة عند الاجتهاد وليت شعري ماذا يقول رفقائك في هذا ؟ يقولون اذا اشتبهت عليه

القبلة يؤخر الصلاة حتى يسافر الى الامام ويسأله او يكلفه الاصابة التي لا يطيقها او يقول اجتهد لمن لا يمكنه الاجتهاد اذ لا يعرف ادلة القبلة وكيفية الاستدلال بالكواكب والجبال والرياح . قال لا اشك في انه يأذن له في الاجتهاد ثم لا يؤتمه اذ بذل كنه مجهوده وان اخطأ او صلى الى غير القبلة . قلت فاذا كان من جعل القبلة خلفه معذوراً مأجوراً فلا يبعد ان يكون من اخطأ في سائر الاجتهادات معذوراً فالمجتهدون ومقلدوهم كلهم معذورون بعضهم مصيبون ما عند الله وبعضهم يشاركون المصيبين في احد الاجرين فنصابهم متقاربة وليس لهم ان يتعاندوا وان يتعصب بعضهم مع بعض لاسيما والمصيب لا يتعين وكل واحد منهم يظن انه مصيب كما لو اجتهد مسافر ان في القبلة فاختلما في الاجتهاد فحقها ان يصل كل واحد منهما الى الجهة التي ظنت على ظنه وان يكف انكاره واعراضه واعتراضه على صاحبه لانه لم يكلف الا استعمال موجب ظنه اما استقبال عين القبلة عند الله فلا يقدر عليه وكذلك كان معاذ في اليمن يجتهد لا على اعتقاد انه لا يتصور منه الخطأ لكن على اعتقاد انه ان اخطأ كان معذوراً وهذا لأن الامور الوضعية الشرعية التي يتصور ان تختلف بها الشرائع يقرب فيها الشيء من نقيضه بمد كونه مظلوماً في سر الاستبصار واما مالا تتغير فيه الشرائع فليس فيه اختلاف وحقيقة هذا الفصل تعرفه من اسرار اتباع السنة وقد ذكرته في الاصل العاشر من الاعمال الظاهرة من كتاب جواهر القرآن واما الصنف الثالث وهم اهل الجدل فاني ادعوهم بالتلطف الى الحق وأعني بالتلطف ان لا اتعصب عليهم ولا اعنفهم لكن ارفق واجادل بالتي هي احسن وكذلك امر الله تعالى رسوله ومثني المجادلة بالاحسن ان

أخذ الأصول التي يسلّمها الجدلي واستنتج منها الحق بالميزان المحقق على الوجه الذي أوردته في كتاب الاقتصاد في الاعتقاد^(١) وإلى ذلك الحد فإن لم يقنع ذلك لتشوفه بفطنته إلى مزيد كشف رقيته إلى تعليم الموازين فإن لم يقنعه لبلادته واصراره على تعصبه ولجاجه وعناده عاجلته بالحديد فإن الله سبحانه جعل الحديد والميزان قرينين الكتاب ليفهم منه أن جميع الخلائق لا يقومون بالقسط إلا بهذه الثلاث فالكتاب للعوام والميزان للخواص والحديد الذي فيه بأس شديد للذين يتبعون ما تشابه من الكتاب ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ولا يلمون أن ذلك ليس من شأنهم وأنه لا يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم دون أهل الجدل وأعني بأهل الجدل طائفة فيهم كياسة ترقوا بها عن العوام ولكن قياساتهم ناقصة إذ كانت الفطرة كاملة لكن في باطنهم خبث وعناد وتعصب وتقليد فذلك يمنعهم عن إدراك الحق وتكون هذه الصفات آكنة على قلوبهم أن يفقهوه وفي آذانهم وقراً لكن لم تهلكهم إلا كياستهم الناقصة فإن الفطنة البتراء والكياسة الناقصة شر من البلاهة بكثير وفي الخبر « إن أكثر أهل الجنة البُلهُ وإن عليين لذوى الألباب »

ويخرج من جملة الفريقين الذين يجادلون في آيات الله وأوثان أصحاب النار ويزع الله بالسلطان ما لا يزع بالقرآن وهؤلاء ينبغي أن يمنعوا من الجدل بالسيف والسنان كما فعل عمر رضي الله عنه برجل إذ سأله عن آيتين متشابهتين في كتاب الله تعالى فعلاه بالدرة وكما قال مالك رضي الله عنه لما

(١) المار - كنت أتعجب من وضع كتاب الاقتصاد المذكور على طريقة المتكلمين

بعد ما وصل النزالي إلى الطريقة المثلى حتى رأيت سببه هنا وهو مجادلة المتكلمين بما انفوا

سئل عن الاستواء على المرش فقال الاستواء حق والايمان به واجب والكيفية مجهولة والسؤال عنه بدعة . وحسم بذلك باب الجدل . وكذلك فعل السلف كلهم وفي فتح باب الجدل ضرر عظيم على عباد الله تعالى فهذا مذهبي في دعوة الناس الى الحق واخراجهم من ظلمات الضلال الى نور الحق وذلك بان ادعو الخواص الى الحكمة بتعليم الميزان حتى اذا تعلم الميزان القسط لم يقدر به على علم واحد بل على علوم كثيرة فان من معه ميزان فانه يعرف به مقادير اعيان لا نهاية لها . كذلك من معه القسطاس المستقيم فمه الحكمة التي من اوتيا فقد اوتي خيراً كثيراً لا نهاية له ولولا اشتغال القرآن على الموازين لما صح تسمية القرآن نوراً لان النور ما يبصر بنفسه ويبصر به غيره وهو نمت الميزان ولما صدق قوله « ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين » فان جميع العلوم غير موجودة في القرآن بالتصريح ولكن موجودة فيه بالقوة لما فيه من الموازين القسط التي بها تفتح ابواب الحكمة التي لا نهاية لها فهذا ادعو الخواص ودعوت العوام بالموعظة الحسنة بالاحالة على الكتاب والاقتصار على ما فيه من الصفات الثابتة لله تعالى ودعوت اهل الجدل بالمجادلة التي هي احسن فن أبي امرضت عن مخاطبته وكففت شره بآس السلطان والحديد المنزل مع الميزان

قلت شهري الآن يارفيقي بم يبالغ امامك هؤلاء الاصناف الثلاثة اعلم العوام غريب العلم فيكفهم ما لا يفهمون ويخالف رسول الله صلى الله عليه وسلم او يخرج الجدل من ادمغة المجادين بالحاجة ولم يقدر على ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم مع كثرة محاجة الله تعالى في القرآن مع الكفار فما

أعظم قدرة امامك اذ صار اقدر من الله تعالى ومن رسوله . او يدعو اهل
 البصيرة الى تقليده وهم لا يقبلون قول الرسول صلى الله عليه وسلم بالتقليد
 ولا يقنعون بقلب العصاة ثعباناً بل يقولون : هو فعل غريب ولكن من
 من اين يلزم منه صدق فاعله وفي العالم من غرائب السحر والطلسمات
 ما تحير فيه العقول ولا يقوى على تمييز المعجزة عن السحر والطلسم
 الا من عرف جميعها وجملة انواعها ليعلم ان المعجز خارج عنها كما عرف
 سحرة فرعون معجزة موسى عليه السلام اذ كانوا من ائمة السحرة ومن
 الذي يقوى على ذلك ؛ بل اهل البصرة يريدون مع المعجزة ان يعلموا
 صدقه من قوله كما يعلم متعلم الحساب من نفس الحساب صدق استاذه
 في قوله اني حاسب فهذه هي المعرفة اليقينية التي بها يقنع اولو الالباب
 واهل البصائر ولا يقنعون بنيرها البتة وهم اذا عرفوا بمثل هذا المنهاج
 صدق الرسول صلى الله عليه وسلم وصدق القرآن وفهموا موازين
 القرآن كما ذكرت لك واخذوا منه مفاتيح العلوم كلها مع الموازين كما
 ذكرته في كتاب جواهر القرآن فن اين يحتاجون الى امامك المعصوم وما
 الذي حل من اشكالات الدين وعن ما اذا كشف من غوامضه قال الله
 تعالى « هذا خلق فاروقى ما ذا خلق الذين من دونه » وقد سمعت الآن
 منهاجي في موازين العلوم فاروقى ما ذا اقتبسته من غوامض العلوم من
 امامك الى الآن وما الذي يتعلمون منه وليت شعري ما الذي تعلمت
 من امامك المعصوم ارنى ما رأيتها :

ما يسدى بي رتسدى اوف خرابن وقلب يارفوت

فليس الغرض من الدعوة الى المائدة مجرد الدعوة دون الاكل

والتناول منها وانى اراكم تدعون الناس الى الامام ثم ارى المستجيب امامك بعد الاستجابة على جهله الذى كان قبله لم يحل له الامام عقداً بل ربما عقد له حلاً ولم تفده استجابته له علماً بل ربما زاد به طغياناً وجهلاً فقال : قد طالت صحبتى مع رفقاتى ولكن ما تعلمت منهم شيئاً الا انهم يقولون عليك بذهب التعليم واياك والرأى والقياس فانه متعارض مختلف . فقلت فمن الغرائب ان يدعوا الى التعليم ثم لا يشتغلوا بالتعليم فقل لهم قد دعوتونى الى التعليم فاستجبت فعلمونى ما عندهم فقال : ما اراهم يزيدونى على هذا شيئاً . فقلت : فانى قائل ايضاً بالتعليم وبالامام وببطلان الرأى والقياس وانا ازيدك على هذا لو اطقت ترك التقليد تعليم غرائب العلوم واسرار القرآن فاستخرج لك منه مفاتيح العلوم كلها كما استخرجت منه موازين العلوم كلها على ما اشرت الى انشعاب العلوم كلها منه فى كتاب جواهر القرآن لكنى لست ادعو الى امام سوى محمد صلى الله عليه وسلم ولا الى كتاب سوى القرآن فنه استخرج جميع اسرار العلوم وبرهانى على ذلك لسانى وبيانى وعليك ان شككت تجريبى وامتحانى اقترانى اولى بأن يتعلم منى من رفقاتك ام لا ؟ « اه

(المقصد والثالث) : ان الامام الغزالى اثبت التقليد بل اوجبه على العوام وفى كلامه بعض اشكالات لم يبق فى الوقت سعة للبحث فيها (المصالح) : سنبحث فى هذا فى مجلس آخر ان شاء الله تعالى واقترقوا